

الدرس 3 من شرح رسالة ذم قسوة القلب لابن رجب الحنبلي

خالد المصلح

يقول المؤلف رحمة الله، منها كثرة الكلام بغير ذكر الله كما في حديث ابن عمر السابق ومنها نقض العهد مع الله تعالى. قال تعالى فيما نقضهم ميثاقهم لعنهم وجعلنا قلوبنا - 00:00:00

فهم قاسية. قال ابن عقيل يوماً في وعظه يا من يجد من قلبي قسوة احذر ان تكون قد نقضت عهداً. فان الله يقول فيما نقضهم ميثاقهم؟ الاية ومنها كثرة الضحك. ففي الترمذ عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي - 00:00:20 صلى الله عليه واله وسلم قال لا تكتروا الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب وقال روي عن الحسن قول وخرج ابن ماجة من طريق أبي رجاء الجزري عن برد بن سنان عن مكحول عن واثلة بن الاسقيع عن أبي هريرة قال - 00:00:40

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة الضحك تميت القلب ومن طريق ابراهيم بن عبد الله بن حنيف عن أبي هريرة فعن النبي صلى الله عليه وسلم؟ نعم. فالمؤلف رحمة الله بعد ان فرغ من ذكر ما يتعلق بقسوة القلب التي هي غلظه - 00:01:00 ويبيح وصلابته وخلوه من المعارف القلبية من المحبة والتعظيم والانابة والخشية اخلاله من رسوم العبودية. انتقل الى بيان اسباب قسوة القلب. وما ذكره رحمة الله في هذه الرسالة انما هو شيء يسير من الاسباب التي تفظي بالقلب الى القسوة والغلظة واليأس. فقد ذكر خمسة - 00:01:20

في اسباب قسوة القلب. بدأها رحمة الله بكثرة الكلام. وبه يتبيّن لك عظيم تأثير اللسان عمل الانسان فاللسان له من التأثير في مسيرة الانسان الى ربه جل وعلا ما ينبغي للمؤمن ان - 00:01:50

قيم لسانه وان يكون رقيباً على لسانه يقول ابن مسعود رضي الله عنه ما شيء في الارض احق بطول سجن من اللسان ما شيء في الارض احق بطول سجن من من اللسان. وهذا يدل على خطورة اللسان. ولتدرك ذلك انظر الى حديث معاذ الذي سُأله فيه - 00:02:10

النبي صلى الله عليه وسلم عن ابواب البر وصنوف الصلاح وعن عمل يقربه الى الجنة ويبعده عن النار فذكر له النبي صلى الله عليه وسلم افانا والوانا من العمل الصالح. ثم بعد ان فرغ من ذلك كله قال الا اذلك على مناك ذلك؟ قال بل يا رسول الله - 00:02:30 من اجل ذلك يعني الذي تملك به كل هذه الخيرات وتدرك به كل هذه الابواب الصالحة من قيام ليل وصدقه جهاد وتوحيد وسائل ما ذكره الحديث من ابواب البر ملوك ذلك يعني التحكم بالنفس الذي يعينك على - 00:02:50

ادراك تلك الفضائل قال النبي صلى الله عليه وسلم كف عليك هذا وشار الى لسان نفسه. كف عليك هذا والكف معناه الایقاف والحبس. كف عليك هذا ومن الالفاظ التي تدل على وجوب الحزم في الوقوف امام طغيان هذا اللسان قوله - 00:03:10 صلى الله عليه وسلم كف عليك هذا فالكاف هو التوقيف الذي فيه من القوة والحزم ما يمنع المكافف من المضي ولذلك ان كفت يده يعني رفعت ووقفت عن التحكم في ما كان فيه متحكماً او عاماً. فالنبي صلى الله عليه وسلم قال كف عليك هذا ثمان معاذ رضي الله عنه استعجل - 00:03:30

مستغرب من هذا الامر فقال او انا مؤاخذون بما نقول يا رسول الله؟ قال ثكلتك امك يا معاذ. ومعاذ ليس من اطراف الناس انه من فقهاء الصحابة حتى جاء فيه الحديث وان كان ضعيفاً انه يأتي يوم القيمة وقد تقدم العلماء برتبة او رتبة وذلك انه رضي الله عنه جمع من - 00:03:50 والمعرفة والفقه ما فاق به غيره. مع ذلك يقول او انا مؤاخذون بما نقول يا رسول الله؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم ثكلتك امك يا

معاذ هل يكب الناس على وجوههم وفي رواية منا خرهم الا حصاند السننهم يعني نتاج ما تكلموا به فاللسان شأنه خطير - 00:04:10
كبير والنصوص في هذا كثيرة مستفيضة فيه يحصل الایمان والتقوى وبه يحصل الكفر والبهتان به يحصل الخير وبه يحصل الشر لما كان اللسان مفتاحا للجنة كما انه مفتاح للنار. قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل - 00:04:30
خيرا او ليصمت. وهذه قاعدة وقانون يحكم به الانسان ما يصدر عنه من الكلام. فكثرة الكلام هنا مقصود بكثرة الكلام المباح وليس كثرة الكلام مطلقا. انما المقصود بالكثرة هنا كثرة الكلام في المباحثات. واما كثرة الكلام في الطاعات - 00:04:50

هذا مما امر به وهو مما يلين القلب ويصلحه. واما كثرة الكلام بالمعاصي فهو داخل في السبب الاخير الذي ذكره في قوله كثرة الذنب انما مقصوده بقوله رحمة الله كثرة الكلام بغير ذكر الله اي في المباحثات. وانك لتعجب من بعض الناس. تجلس - 00:05:10
فمنذ جلوسك الى انصرافك وهو لا يكف عن كلام وحديث لكن اذا اردت ان تخرج من هذا الكلام بفائدة بخير تجد فيه الا ما لا يذكر من ذلك. وقد لا تجد شيئا وهذا لا شك انه قصور بالعبد وموضع للشر - 00:05:30

لان عمر رضي الله عنه اعطى في هذا تصور لما ينتهي اليه ويؤول اليه كثرة الكلام. من كثر كلامه كثر سقطه كثر سقطه واذا كثر سقطك كثر ذنبك واثمك عند رب العالمين. فينبغي للمؤمن ان يحفظ لسانه - 00:05:50

وان يكتفه ما استطاع فالصمت حكمة وهو رحمة اذا كان في محله فينبغي للمؤمن ان يحرص على ذلك. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي اشار اليه المؤلف رحمة الله كما في حديث ابن عمر السابق لا تکثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله - 00:06:10

قوة للقلب وهذا يدل على تأثير اللسان على القلب. واللسان يؤثر على القلب تأثيرا بالغا. فكم من كلمة اسود بها القلب وكم من كلمة اشرق بها القلب فينبغي للمؤمن ان يكون حريصا على لسانه وكلامه وان لا يكثر الكلام الا في ما يحب - 00:06:30
الله تعالى ويرضاه. واما ما عدا ذلك فليقتصر على ما تدعوه اليه الحاجة. وقول النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت. هل - 00:06:50

انك ما تتكلم الا في حديث وفقه وتفسير وامر بمعرفة ونهي عن المنكر وتسبيح وتهليل وما الى ذلك من الاذكار والعمل الصالح لان الخير نوعان حتى لا نصل الى نوع من الغلو مع النوع ما اظن ان نصل اليه لكن هذا من باب تكميل الفائدة والفهم للمقصود ان - 00:07:00

نوعان خير في ذاته وهذا مأمور به امرا اوليا. قراءة القرآن قراءة الحديث الامر بالمعروف تعليم العلم آآ العلوم الشرعية الذكر هذا خير يدخل في قوله من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وهذا من النوع الذي الخير في ذاته في ذات الكلام في - 00:07:20

في جنس الكلام. اما النوع الثاني من الخير فهو ما كان فيه الخير في نتيجته واثره. لا في ذاته انما في اثره وثمره وذلك في الكلام الذي تدفع به عن أخيك سامة او تدخل به سرورا او تلاطفه به - 00:07:40

فيدخل في عموم ما امر الله تعالى به من قوله جل وعلا وقولوا للناس حسنا. فاذا قلت كيف حالك؟ صبحك الله بالخير وما اشبه ذلك من الكلام الذي هو من التحايا قد تقول يكفي السلام عليكم واديت الواجب ثم ما زاد لا نقول الخير ليس فقط فيما امرت به بل حتى - 00:08:00

فيما يؤدي الى الخير من ادخال السرور والملاطفة وازالة ما قد يعلق في النفوس من من الشر او ما الى ذلك هذا من الخير الذي يترب على الكلام فيدخل في قوله النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت. اذا قوله رحمة الله منها كثرة الكلام بغير - 00:08:20

بذكر الله اي الكلام المباح الكلام المباح فينبغي للانسان ان يحفظ لسانه عن ذلك. قال ومنها نقض العهد مع الله تعالى نقض العهد وابطال ما سبق ابرامه. فالنقض هو ابطال ما سبق ابرامه وعقده. فاذا نقضت شيئا فقد حلت - 00:08:40

بعد توثيقه وربه. فنقض العهد هو اخلاف ما عاهدت الله تعالى عليه. ونقبل عهد نوعان المقصود بكلام المؤلف هو نوع لا يدخل في

كلام المؤلف دخولا مباشرا. كل مخالفة ومعصية يعصيها الانسان ربه بعد علمه بانها - 00:09:00

هذا من نقم العهد. ولذلك نحن نقول في سيد الاستغفار حديث شداد بن اوس رضي الله عنه. اللهم انت ربى لا الله الا انت خلقتني وانا عبد وانا على عهدي ووعدي ما استطعت يعني فيما استطيع. هذا العهد والوعد العام الذي يشمل كل اوامر الشريعة. كل - 00:09:20

ما امرك الله به وكل ما نهاك عنه فهو عهد ميثاق اخذه الله تعالى عليك ان تمثل امر النبي صلى الله عليه وسلم وتلتزم شرعه فهذا العهد ليس المقصود في هذا الكلام انما المقصود هنا العهد الخاص الذي يعاهد فيه العبد ربها على امر من الامور اما بفعل او ترك -

00:09:40

نفaca وشرا. وقد قال الله تعالى فيما نقضهم ميثاقيهم لعنهم - 00:10:00

وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً . وَالْمِيزَانُ الَّذِي أَخْذَهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَبَعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُمْ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ عَالَمَاتٍ فَهُؤُلَاءِ نَقْضُوا الْعَهْدَ فَكَانَتْ عَقُوبَتَهُمْ أَنْ لَعِنَهُمُ اللَّهُ وَجَعَلَ قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً . وَتَأثِيرٌ نَقْضُ الْعَهْدِ عَلَى الْقَلْبِ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ - 00:10:20

عاهد الله - 00:10:20

فما زلت أتمنى أن يكون لهم نفع، وإن لم ينفعهم فلهم عذاب أليم

هنا في غاية الحذر من ان يعد الله وعدا او ان ينذر نذرا او ان يعاهد الله عهدا ثم بعد ذلك يخالف هذا العهد. اما المخالفة العامة التي تكون بارتكاب معصية او تقصير في واجب فهذا ينبغي للمؤمن ان يستعتبر ولذلك كان من المشروع في سير المؤمن الى ربه -

00:11:00

ان يقول في اذكار صباحه ومساء هذا الذكر الذي هو من سيد هو اعلى الاستغفار واجمعه وهو اللهم انت ربى لا الله الا انت خلقتنى وانا عبدك على عهلك وعدك ما استطعت ابوء لك بنعمتك علي اي اقر بنعمتك علي وابوء بذنبي اي اقر بذنبي وهذا الاقرار اقرار

00:11:20

يستلزم الاقلاع واعلان الرجوع الى رب العالمين. ابوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب الا انت. قال رحمة الله قال ابن عقيل يوماً في وعظه يا من يجد من قلبه قسوة احذر ان تكون نقضت عهداً وهذا تنبئه انه اذا - 00:11:40

لوجدت في قلبك قسوة فينبغي ان تفتش عن الاسباب. من الناس من يشكو قسوة قلبه ويقول انا قلبي ما يلين. عيني لا تدمع. لا اجد لذة للطاعة ولا اجد انسا بذكر الله تعالى. اقرأ القرآن ولا يؤثر على. هذا لا شك ان هناك مانع. هذه الامور موجبة. الذكر - 00:12:00

الطاعة الصدقة الاحسان قراءة القرآن كلها اسباب للين القلب. فإذا كان هناك عدم ثمرة مع حصول الاصناف فهل من هناك مانع فتش عن هذا المانع في قلبك ما يمكن ان تقول والله روح الطيب يشخص الطبيب هو انت فانتظ ماذا معك من السوء وماذا - 00:12:20

الامام مسلم في - 00:12:40

من حديث ابن مسعود رضي الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر مثقال يعني وزن وهو ادنى ما يوزن - 00:13:00

حبة من كبر فينبغي لنا ان نفتش عن الاسباب التي من خلالها حصلت هذه القسوة. اما ان يشتكى الانسان من المرض يشخص الاسباب ولا يسعى في ازالة موجبات هذا البلاء فلا شك ان هذا من التقصير الذي لا تحصل معه نتيجة لو جلسنا نشكو قسوة قلوبنا من اليوم -

00:13:10

ثالث من الاسباب التي ذكرها المؤلف كثرة الظحك. هي من اسباب قسوة القلب كثرة الظحك. ففي الترمذى عن الحسن عن أبي هريرة الى غد ونحن لا نعمل على ازالة اسباب القسوة وحصول اسباب اللين لا شك اننا لن ندرك ما مأمورنا. يقول رحمة الله ومنها السبب

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تكثروا - 00:13:30

فان كثرة الضحك تميت القلب. وقد روي عن الحسن قوله يعني هذا روى اه من قول الحسن رحمة الله والحسن هو الحسن البصري الزاهد رحمة الله. وهذا الحديث صححه جماعة من اهل العلم المتأخرين. وفيه النهي عن كثرة الظحك - 00:13:50

نهي عن كثرة الضحك هو النهي عن التمادي فيما يلهي القلب. لأن الظحك هو نوع من الغفلة تصيب القلب هي من حيث الحاجة اليها القلوب تحتاج الى شيء من الترويح. تحتاج الى شيء من الابتهاج والسرور وهذا امر كان عليه - 00:14:10

النبي صلى الله عليه وسلم بل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر له ما ذكر من عمل بعض العاملين قالت له من الاعمال ما تطبيقون فان الله لا يقبل حتى - 00:14:30

تتملك فينبغي لنا ان نعطي القلوب نصيبها من الترويج والابتهاج والسرور لكن اذا طفى البحث ليس في اصل الظحك انما بحثه في كثرة الظحك وهو ان يخرج عن الحد المعقول الذي تحتاجه القلوب لتتزود الى في سيرها وتستعين به في آآ - 00:14:40

الى وسفرها الى ربها جل وعلا. وقد قال صلى الله عليه وسلم في بيان تأثير كثرة الضحك قال فان كثرة الضحك تميت القلب. كيف؟ كيف يكون كثرة الضحك اكتب القلب. كثرة الضحك تقترب بالغفلة. والغفلة من اعظم الادواء الفتاك للقلوب. والا فالضحك نفسه الذي

هو ظهور - 00:15:00

السرور على وجه الانسان وظهور ثناياه ابتهاجا وسرورا وظحكا هذا قد يكون عمل طبيعي لكن الاشكال ان هذا العمل الطبيعي الذي اذا اسرف الانسان في اخذ اسبابه والاقبال عليه اصاب قلبه الغفلة ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه لو تعلمون ما اعلم -

00:15:20

لضحكتم قليلا ولبكيرتم كثيرا ثم انتج هذا عملا وهو لخرجم الى الصعدات اي الجبال والبراري والصحاري تجرون الى الله تطلبون منه الرحمة وتطلبون منه العفو. لعظيم ما تستقبلون من الاهوال وهذا يبين انه ينبغي للعبد ان يبعد عن كل سبب - 00:15:40

يغلف قلبه بالغفلة من اعظم الاسباب الفتاك التي تذهب برونق القلوب وتميتها. ثم قال رحمة الله وخرج ابن ماجة من طريق

ابي الرجاء الجزري عن برد ابن سنان عن مكحول عن واثلة ابن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى

الله عليه وسلم قال - 00:16:00

الضحك تميت القلب. وهذا الحديث فيه معنى الحديث السابق واسناده لا بأس به. ومن طريق ابراهيم ابن عبد الله ابن حنين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في معنى الحديث المتقدم. اذا بهذا تكون قد قرأنا ثلاثة اسباب من اسباب قسوة القلب وهي

كثرة الكلام - 00:16:20

لذكر الله تعالى نقط العهد مع الله تعالى كثرة الظحك - 00:16:40